# لماذا هي أعظم؟

## فضل آية الكرسي

تأليف

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

دار الفرقان للنشر والتوزيع

دار أضواء السلف للطباعة والنشر والتوزيع

مصوراث

أبي عبدالرحمن السلفي

الفلسطيني

# لماذا هي أعظم؟

## فضل آية الكرسي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :

٢٣٠٩ / ٢٠١٠م

جمهورية مصر العربية - القاهرة

هاتف : ٠٠٢٠١٠١٠٠١١٤٥ - ٠٠٢٠١٢٢٨٦٨٤١٠ - ٠٠٢٠١٠٥٨٦٦٢٠١

ADWAASALAF2007@YAHOO.COM

EMAIL:ADWAASALAF2007@HOTMAIL.COM

ADWAASALAF2007@GMAIL.COM

# لماذا هي أعظم؟

## فضل آية الكرسي

تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

دار الفرقان المصرية للنشر والتوزيع
دار أضواء السلف المصرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُه، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

• أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكَلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَصْدُقُ مَعَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ، وَالْمَنْعِ وَالْعَطَاءِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ ضَاعَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الآخِرَةَ لَا تَضِيعُ عَلَيْهِ، أَمَّا إِنْ تَنَازَلَ عَنْ دِينِهِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا، فَلَنْ يَنَالَ الدُّنْيَا وَيُحْرَمَ الآخِرَةَ، وَذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

وَاللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- تَكَفَّلَ بِنَصْرِ دِينِهِ، فَمَنْ تَوَلَّىٰ اسْتَبْدَلَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِهِ ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

وَقَالَ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فَبَيَّنَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نَاصِرٌ دِينَهُ، وَأَنَّهُ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ نُصْرَةِ الدِّينِ أَذَلَّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَذَهَبَ بِهِ، وَأَتَىٰ بِقَوْمٍ لَهُمْ صِفَاتٌ ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُطَهَّرَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ صِفَةِ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- يُحِبُّ وَيُحَبُّ، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، فَصِفَةُ الْمَحَبَّةِ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لَه، عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وَالْمَحَبَّةُ الَّتِي ذُكِرَتْ مَحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ مَجَازًا

عَنِ الإِثَابَةِ؛ لِأَنَّ الْإِثَابَةَ شَيْءٌ وَالْمَحَبَّةَ شَيْءٌ آخَرُ، بَلِ الْإِثَابَةُ دَلِيلُ المَحَبَّةِ.

وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ؛ أَيْ: إِذَا ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، فَكُلُّ مَنِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهُ، ﴿يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وَإِذَا كَانُوا يُحِبُّونَ اللَّهَ وَيُحِبُّهُمُ اللَّهُ؛ فَسَوْفَ يَقُومُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَىٰ وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَحَبَّهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وَذَكَرَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يَخْفِضُونَ

أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَلِينُونَ لَهُمْ، وَيَتَطَامَنُونَ، وَمَع الْكُفَّارِ أَعِزَّةٌ أَقْوِيَاءُ، لا يُظْهِرُونَ الذُّلَّ أَمَامَ الْكَافِرِ أَبدًا، عَلَىٰ عَكْسِ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ؛ فَإِنَّهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، أَشِدَّاءُ غَيْرُ رُحَمَاءَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ أَعِزَّةٌ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: لَا فِي سَبِيلِ سِوَاه، يُجَاهِدُونَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَيُخْلِصُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْإِخْلَاصَ كُلَّهُ.

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّ مَنْ قَامَ ضِدَّ دِينِ اللَّهِ مِنْ كَافِرٍ وَفَاسِقٍ، وَمُلْحِدٍ وَمَارِقٍ، وَزِنْدِيقٍ وَمُنَافِقٍ، وَيُقَابِلُونَ

كُلًّا بِالسِّلَاحِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ، فَمَنْ قَاتَلَهُمْ بِالْحَدِيدِ وَالنَّار؛ قَاتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، وَمَنْ قَاتَلَهُمْ بِالْجِدَالِ وَالْخِصَامِ الكَلَامِيِّ، جَادَلُوهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: لَا يَخَافُونَ نَقْدَ النَّاسِ لَهُم وَلَا لَوْمَهُمْ، يَقُولُونَ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَخْلَصُوا الْقَصْدَ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ عَلَىٰ وَفْقِ سُنَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-؛ فَلَا اعْتِبَارَ لِشَيْءٍ، وَلَا لِقَوْلٍ وَلَا لِعَمَلٍ، بَعْدَ أَنْ يُحَقِّقَ الْعَبْدُ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَالاتِّبَاعَ لِرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: بَيَّنَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنَّ ذَلِكَ الْعَطَاءَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ فَضْلُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي اخْتَصَّهُمْ بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَإِذَا أَخْلَصَ الْإِنْسَانُ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-؛ فَقَدْ حَقَّقَ عَوَامِلَ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ، وَأَخَذَ بِأَسْبَابِ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ، وَأَمَّا إِذَا فَرَّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَا نَفْسَه، وَاللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَرْسَلَ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَهِيَ تَحْقِيقُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَه، وَهَذَا أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ، وَآخِرُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ.

فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ وَأَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ فِي الإِسْلَامِ: أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَهُوَ آخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا**

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

وَقَدْ كَانَ وَاضِحًا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ، مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَهَذَا مَدْعَاةٌ لِلْعَجَبِ مِنْ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لَا يَدْرِي حَقِيقَةَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَأَمَّا الْكُفَّارُ الَّذِينَ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَكَانُوا عَالِمِينَ بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِهِ مُحَمَّدًا؛ يَعْنِي: كَانُوا يَعْرِفُونَ دَعْوَةَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، لَمْ يَحْدُثْ فِيهَا عِنْدَهُمُ الْتِوَاءٌ وَلَمْ يُصِبْهَا غَبَشٌ[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦)، وأحمد (٢٢٠٣٤، ٢٢١٢٧)، من حديث معاذ -رضي الله عنه-، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٩).

(٢) قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (١/ ٧٧٤): الغَبَشُ -محرَّكةً-: بَقِيَّةُ الليلِ أو ظُلْمَةُ آخِرِهِ كالغُبْشَةِ -بالضم- غَبِشَ=

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ[١] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمَّا سَأَلَهُ هِرَقْلُ عَمَّا يَقُولُ ذَلِكَ الرَّجُلُ -يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: يَقُولُ: «**اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**».

فَكَانَ وَاضِحًا جِدًّا مُنْذُ الْبِدَايَةِ، مَا يَدْعُو إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا أَرْسَلَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ**

---

= كفرِحَ وأغْبَشَ ج: أغْباشٌ. والغابِشُ: الغاشُّ والخادِعُ والغامِشُ. وتَغَبَّشَهُ: ظَلَمَهُ أو ادَّعَىٰ قِبَلَهُ دَعْوَىٰ باطِلَةً. وليلٌ أغْبَشُ وغَبِشٌ: مُظْلِمٌ.

(١) أخرجه البخاري (٧، ٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣).

**إِلَّا اللَّـهُ»**، وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[١]، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا-.

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ[٢]: **«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّـهَ»**.

فَهَذَا هُوَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللَّـهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الْخَلْقَ، خَلَقَ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، خَلَقَ اللَّـهُ الْخَلْقَ لِيُوَحِّدُوه؛ فَأَرْسَلَ اللَّـهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَافْتَتَحَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ أَجْمَعُونَ الدَعْوَةَ إِلَىٰ اللَّـهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ.

فَأَوَّلُ دَعْوَةِ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ**﴾ [الأعراف: ٥٩]، فَهَذِهِ دَعْوَةُ أَوَّلِ رَسُولٍ بَعْدَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩)

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

حُدُوثِ الشِّرْكِ، وَهِيَ دَعْوَةُ هُودٍ[١]، وَدَعْوَةُ صَالِحٍ[٢]، وَدَعْوَةُ شُعَيْبٍ[٣]، وَبِمَعْنَاهَا أُمِرَ إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ[٤]، خَلِيلَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ دَعَوْا إِلَىٰ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

**وَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ هُوَ**: أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَقَدْ أَقَرَّ وَاعْتَرَفَ، ثُمَّ يَأْتِي بِالْعَمَلِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَفْقِ مَا أَقَرَّ بِهِ وَاعْتَرَفَ، مِنَ الْمَعْنَىٰ الْجَلِيلِ الَّذِي تَتَضَمَّنُهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.

«لَا إِلَهَ»: (لَا) نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، وَ(إِلَهَ) اسْمُهَا، وَخَبَرُهَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: حَقٌّ، لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَا اللَّه، وَلَفْظُ الْجَلَالَةِ

---

(١) الأعراف: ٦٥.

(٢) هود: ٦١.

(٣) الأعراف: ٨٥.

(٤) الأنعام: ٧٩.

بَدَلٌ مِنَ الْخَبَرِ الْمَحْذُوفِ.

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»: الْإِلَهُ هُنَا بِمَعْنَىٰ: الْمَأْلُوهِ، وَالْمَأْلُوهُ: الْمَعْبُودُ، لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَا اللَّه، فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا إِلَّا إِذَا أَقَرَّ بِذَلِكَ إِقْرَارًا صَحِيحًا، ثُمَّ أَتَىٰ بِوَفْقِ هَذَا الْإِقْرَارِ فِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِ، مُصَدِّقًا بِمَا أَقَرَّ بِهِ قَلْبُهُ، وَبِمَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ، فَتَأْتِي الْجَوَارِحُ مُصَدِّقَةً لِذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ: إِقْرَارٌ بِالْجَنَانِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

فَأَرْسَلَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَهُ.

وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مَازَالَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، عِنْدَمَا لَقِيَ هِرَقْلَ، فَسَأَلَهُ: مَا يَقُولُ ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ يَعْنِي: مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: يَقُولُ: «**اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا**

مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ»[١].

فَلَابُدَّ مِنَ الْكُفْرِ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَابُدَّ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَهُ، فَهُمَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، وَلَا يَصِحُّ التَّوْحِيدُ إِلَّا بِهِمَا مَعًا، فَمَنْ أَتَىٰ بِالْإِثْبَاتِ وَحْدَهُ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا، وَمَنْ أَتَىٰ بِالنَّفْيِ وَحْدَهُ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا، حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ مَعًا، وَبِهِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ، فَدَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، نَفْيُ جَمِيعِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَإِثْبَاتُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَه، يَنْفِي الْعَبْدُ جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيُثْبِتُ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَه، وَيُخْلِصُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ

---

(١) تقدم تخريجه، وهو في الصحيحين.

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ»(١).

وَأَوَّلُ أَمْرٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، هُوَ الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَه، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١]، خَلَقَكُمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِهَذَا الْمَقْصِدِ: لِعِبَادَتِهِ.

وَأَمْرُ التَّوْحِيدِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ، فِي تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِأَنَّهُ إِمَّا إِثْبَاتٌ لِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِإِثْبَاتِ التَّدْبِيرِ، وَالْمُلْكِ، وَالْخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالتَّصْرِيفِ، لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مَعَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٢١٣)، ومسلم (٢٣).

إِثْبَاتِ مَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

الْقُرْآنُ إِمَّا فِي هَذَا التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ الْخَبَرِيِّ، وَإِمَّا فِي الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَإِفْرَادِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْكُفْرِ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ.

وَكُلُّ سُوَرِ الْقُرْآنِ؛ بَلْ كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ هَذَا التَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، مُتَضَمِّنَةٌ لَهُ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الصِّفَاتِ، فَذَاكَ مُسْتَلْزِمٌ لِهَذَا، مُتَضَمِّنٌ لَهُ.

وَإِمَّا دُعَاءٌ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، أَوْ أَمْرٌ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَنَهْيٌ

عَنِ الْمُخَالَفَاتِ، فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُو مُسْتَلْزِمٌ لِلنَّوْعَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، مُتَضَمِّنٌ لَهُمَا -أَيْضًا-.

وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِه وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ؛ فَهُو جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ.

وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحُلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَىٰ مِنَ الوَبَالِ، فَهُوَ جَزَاءُ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ حَقِيقَةُ دِينِ الإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ.

فَهُوَ إِمَّا تَوْحِيدٌ خَبَرِيٌّ عِلْمِيٌّ، وَإِمَّا تَوْحِيدٌ طَلَبِيٌّ إِرَادِيٌّ، وَالْأَوَّلُ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَالثَّانِي هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، بِإِفْرَادِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

**الْقِسْمُ الْأَوَّلُ -وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ-**: أَنْ تُوَحِّدَ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِمَا لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- سُبْحَانَه، فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنْ تُثْبِتَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَهَذَا تَوْحِيدٌ خَبَرِيٌّ عَمَلِيٌّ، عَلَىٰ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ، فَهَذَا تَحْقِيقُهُ.

**تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ**: هُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُهُ، وَرَازِقُهُ، وَأَنَّهُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، النَّافِعُ الضَّارُّ، الْمُتَفَرِّدُ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ، الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ شَرِيكٌ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَا يَكْفِي الْعَبْدَ فِي حُصُولِ الإِسْلَامِ؛ بَلْ لَابُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِلَازِمِهِ مِنْ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ.

**وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:** هَوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ الْمَشِيئَةُ النَّافِذَةُ، وَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، رَءُوفٌ رَحِيمٌ، عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ وَعَلَىٰ الْمُلْكِ احْتَوَىٰ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْعُلَا.

وَهَذَا أَيْضًا لَا يَكْفِي فِي حُصُولِ الْإِسْلَامِ؛ بَلْ لَابُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الْإِتْيَانِ بِلَازِمِهِ، مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ.

**وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي -وَهُوَ الطَّلَبِيُّ الْإِرَادِيُّ-:** فَأَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَتُفْرِدَهُ سُبْحَانَهُ بِالْعِبَادَةِ.

أَنْ تُوَحِّدَ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِأَفْعَالِهِ، فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنْ تُفْرِدَ اللَّهَ وَتُوَحِّدَهُ بِأَفْعَالِكَ أَنْتَ، فَهَذَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ الدِّينِ وَآخِرُهُ، وَبَاطِنُهُ

وَظَاهِرُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَآخِرُهَا، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ بِالْمَحَبَّةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالْإِجْلَالِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَلِأَجْلِ هَذَا التَّوْحِيدِ خُلِقَتِ الْخَلِيقَةُ، وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَبِهِ افْتَرَقَ النَّاسُ إِلَىٰ مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَسُعَدَاءَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَشْقِيَاءَ أَهْلِ النَّارِ.

وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، إِمَّا فِي طَلَبِ عِبَادَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَإِمَّا فِي إِثْبَاتِ الْمُلْكِ، وَالرِّزْقِ، وَالتَّصْرِيفِ، وَالتَّدْبِيرِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْمَجِيدِ، وَإِمَّا فِي تَفْصِيلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَهُوَ حَقُّ التَّوْحِيدِ، فَهُوَ أَيْضًا سَائِرٌ فِي مَسَارِ التَّوْحِيدِ.

الْقُرْآنُ إِمَّا إِخْبَارٌ عَنِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِمَا يَنْبَغِي لَهُ -جَلَّ وَعَلَا- مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَإِمَّا بَيَانٌ

لِمَا يَسْتَحِقُّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مِنَ الْعِبَادَةِ، وَإِمَّا إِثْبَاتُ الْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ، وَالرِّزْقِ، وَالتَّصْرِيفِ، لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَإِمَّا أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ، وَهَذَا حَقُّ التَّوْحِيدِ، وَإِمَّا بَيَانٌ لِأَحْوَالِ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ السَّالِفِينَ، فَهَذَا أَيْضًا بَيَانٌ لِجَزَاءِ مَنْ حَادَ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَإِمَّا ذِكْرٌ لِمَا أَعَدَّ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِلْمُؤْمِنِينَ الطَّيِّبِينَ الْمُوَحِّدِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَهَذَا جَزَاءُ التَّوْحِيدِ، وَإِمَّا وَصْفٌ لِمَا أَعَدَّ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِلْمُكَذِّبِينَ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ، فَهَذَا أَيْضًا بَيَانٌ لِجَزَاءِ مَنْ حَادَ عَنْ سَبِيلِ التَّوْحِيدِ.

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ -مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ- فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِي بَيَانِ عِبَادَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ لِلْإِلَهِ الْحَقِّ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَحْدَهُ -جَلَّ وَعَلَا-.

**وَيَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ هَذَا الْأَمْرِ:** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّىٰ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(١)، مِنْ رِوَايَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَنْهُ- قَالَ: سَأَلَنِي النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» فَقُلْتُ: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**».

فَآيَةُ الْكُرْسِيِّ هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَهِيَ فِي بَيَانِ تَوْحِيدِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَذِكْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا تَفَرَّدَ بِهِ مِنَ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ، وَذَلِكَ يَسْتَتْبِعُ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

فَأَثْبَتَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ تَوْحِيدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠).

وَأَمَّا أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، فَهِيَ أَيْضًا فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُمْ يَوْمًا: «**احْشُدُوا**» -أَيِ: اجْتَمِعُوا- فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَقَدْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ سَيَقْرَأُ عَلَيْهِمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، تَلَا عَلَيْهِمْ سُورَةَ (الْإِخْلَاصِ)[1]، -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**»، قَالُوا: كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٢) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، ومسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه-.

وَذَلِكَ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ تَوْحِيدِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ.

فَالتَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ وَهُوَ دَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَكُلُّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ دِينِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مُتَخَطِّيًا هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

لَقَدْ كَانَ وَاضِحًا فِي حِسِّ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ لَائِحًا فِي أُفْقِ مَعْرِفَتِهِمْ؛ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، مَا كَانَ غَائِمًا[1] قَطُّ وَمَا كَانُوا عَنْهُ بِمَبْعَدَةٍ، إِنَّمَا وَقَفُوا عَلَىٰ سَوَاءِ[2] الدَّعْوَةِ، وَعَرَفُوا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

فَكُلُّ دَعْوَةٍ يَنْبَغِي أَنْ تَؤَسَّسَ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ

---

(١) وصف للشيء ذي المعالم غير الواضح، مأخوذ من الغَيم الذي يشوش الرؤية.

(٢) يعني: وسط طريقها حيث تتبين لهم جميع الجوانب.

الْعَظِيم، وَهُوَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، الدَّعْوَةُ إِلَىٰ إِفْرَادِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْعِبَادَةِ بِجَمِيعِ صُوَرِهَا مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، وَأَلَّا يُصْرَفَ شَيْءٌ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، هَذِهِ هِيَ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

فَكَانُوا عَلَىٰ شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، يَعْرِفُونَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- وَكَانُوا يَعْرِفُونَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

أَبُو سُفْيَانَ، وَكَانَ زَعِيمَ قَوْمِهِ فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ الْهُمَامِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، حَتَّىٰ مَنَّ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَلَيْهِ بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، -رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ-، كَانَ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ، كَانَ يَقُولُ لِهِرَقْلَ: إِنَّهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ لَنَا: «**اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ**

شَيْئًا»، أَفْرِدُوا اللَّـهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِالْعِبَادَةِ، وَلَا تَصْرِفُوا شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّـهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

«**اعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، بَلَّغَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، فَكَانَتْ دَعْوَتُهُ وَاضِحَةً أَشَدَّ الْوُضُوحِ، حَتَّىٰ عَبَّرَ عَنْهَا بِلُبِّهَا وَحَقِيقَتِهَا أَبُو سُفْيَانَ -وَكَانَ مَازَالَ عَلَىٰ شِرْكِهِ- أَمَامَ هِرَقْلَ: إِنَّهُ يَقُولُ: «**اعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**».

فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ حَقًّا، وَلَا يَنْطِقُونَ صِدْقًا، وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالْهَذَيَانِ، فَدَعُوا قَوْلَ الْآبَاءِ، وَدَعُوا الْأَعْرَافَ، وَدَعُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُكُمْ، مِنَ الضَّلَالِ وَالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَخُذُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّـهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وَقَدْ أَخْبَرَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَفْهَمُونَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]؛ لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَىٰ تَرْكِ التَّنْدِيدِ(١)، وَإِلَىٰ الْبُعْدِ عَنْ هَذَا الْهَذَرِ(٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْبُعْدِ عَنِ الشِّرْكِ الَّذِي تَوَرَّطُوا فِيهِ، دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَالاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ جَادَّةِ التَّوْحِيدِ، بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَه، وَهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَه، لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ الْآلِهَةَ خَالِصَةً مِنَ دُونِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، كَمَا جَاءَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ، وَهُمْ

---

(١) التنديد في أصله: رفع الصوت بما يُكره، أو بالإنكار، انظر: لسان العرب (٣/ ٤١٣)، والمراد هنا: اتخاذ النِّدِّ من دون الله، بمعنىٰ: تسوية غير الله تعالىٰ به.

(٢) **في الفروق اللغوية (١/ ٥٢٢)**: الهذر: الإسقاط في الكلام، ولا يكون الكلام هذرًا حتىٰ يكون فيه سقط قَلَّ أو كَثُرَ، وقال بعضهم: الهذر: كثرة الكلام.

يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»[1]، كَانُوا يَأْتُونَ بِهَذِهِ التَّلْبِيَةِ، وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، فَكَانُوا لَا يُنْكِرُونَ وُجُودَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَه، إِلَىٰ إِفْرَادِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- بِالْعِبَادَةِ وَحْدَه، وَتَرْكِ مَا يَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَفَهِمُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، مَا كَانَتْ دَعْوَتُهُ غَائِمَةً وَلَا غَامِضَةً، وَإِنَّمَا وَضَّحَهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، أَوَّلَ شَيْءٍ، ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ**﴾، «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠٢٣، ١٩٠٠٤)، والطبراني في الكبير (٥/ ٦١)، وأورده الألباني في صحيح السيرة برقم (١٤٢).

**وَدَلَّ عَلَىٰ عِظَمِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ**: أَنَّ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، هُيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾: هُوَ الْعَلَمُ الْمُفْرَدُ الَّذِي لَمْ يَتَسَمَّ بِهِ أَحَدٌ، هُوَ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- خَالِصًا، وَهُوَ عَلَمٌ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، لَمْ يَتَسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ، وَهُوَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِصًا.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: وَهَذَا خَبَرٌ لِهَذَا الْمُبْتَدَأِ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: إِثْبَاتٌ لِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَحْدَهُ؛ لِأَنَّ الْإِلَهَ بِمَعْنَىٰ الْمَأْلُوه، وَالْمَأْلُوهُ: الْمَعْبُودُ، فَلَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَا اللَّه، وَأَمَّا مَا يُعْبَدُ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَحَدِّثْ عَنْ كَثْرَتِهِ وَلَا حَرَجَ، فَالنَّاسُ يَتَّخِذُونَ مَعْبُودَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَأَمَّا

الْإِلَهُ الْحَقُّ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَه، فَهُوَ اللَّـهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّـهُ.

﴿ٱلْحَىُّ﴾: وَهَذَا خَبَرٌ ثَانٍ، ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: خَبَرٌ ثَالِثٌ.

وَأَثْبَتَ اللَّـهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِنَفْسِهِ صِفَةَ الْحَيَاةِ، وَصِفَةُ الْحَيَاةِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- إِنَّمَا هِيَ عَلَىٰ قَدْرِ ذَاتِهِ، وَذَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، فَحَيَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا حَيَاةٌ، حَيَاتُهُ -جَلَّ وَعَلَا- لَيْسَتْ مَسْبُوقَةً بِعَدَمٍ، وَلَا مَلحُوقَةً بِزَوَالٍ، كَحَيَاةِ الْأَحْيَاءِ الْمَخْلُوقِينَ، الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّـهُ وَأَعْطَاهُمُ الْحَيَاةَ، فَحَيَاتُهُمْ مَسْبُوقَةٌ بِالْعَدَمِ، مَلحُوقَةٌ بِالزَّوَالِ، وَأَمَّا حَيَاةُ اللَّـهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَكَامِلَةٌ؛ أَيْ: مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْنَىٰ الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ.

وَحَيَاةُ الْأَحْيَاءِ فِيهَا مِنَ الْآفَاتِ مَا فِيهَا، وَحَيَاةُ اللَّـهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كَامِلَةٌ، فَهِيَ مُبَرَّأَةٌ مِنْ تِلْكَ الْآفَاتِ، وَالنَّقَائِصِ كُلِّهَا، الْحَيُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ تُدْرِكُهُ مَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ

الَّتِي يَحْيَاهَا مِنْ صُنُوفِ الْآفَاتِ الَّتِي تَعْتَرِيهِ، مِنَ الْمَرَضِ، وَمِنَ الْعَجْزِ، وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْآفَاتِ، وَأَمَّا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فَهُوَ الْحَيُّ لَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

﴿الْقَيُّومُ﴾: قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَقَائِمٌ عَلَىٰ غَيْرِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، قَيُّومٌ عَلَىٰ وَزْنِ فَيْعُولٍ، وَهِيَ مِنَ الْقِيَامِ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، قَائِمٌ عَلَىٰ غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، فَهُوَ -عَزَّ وَجَلَّ- غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُمْ جَمِيعًا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ -جَلَّ وَعَلَا-؛ إِذْ وُجُودُهُمْ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْعَزِيزُ، الَّذِي يَحْتَاجُهُ كُلُّ مَوْجُودٍ وَلَا يَحْتَاجُ أَحَدًا.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: عَبَّرَ بِالْأَخْذِ -هَاهُنَا-؛ لِأَنَّ النَّوْمَ قَدْ يَكُونُ أَخْذًا بِاخْتِيَارٍ، وَقَدْ يَكُونُ أَخْذًا بِاضْطِرَارٍ، فَإِذَا كَانَ بِاخْتِيَارٍ فَلَا يَكُونُ أَخْذًا فِي حَقِيقَةِ

الْأَمْرِ، فَعَبَّرَ بِهَذَا لِنَفْيِ هَذَا وَهَذَا.

وَ﴿سِنَةٌ﴾: هِيَ النُّعَاسُ وَمُقَدِّمَاتُ النَّوْمِ مِنَ الْوَسَنِ وَمَا أَشْبَهَ.

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُبَرَّأٌ عَنْ هَذَا النَّقْصِ كُلِّهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِنْسَانَ -مَثَلًا-، يَكُونُ كَمَالًا كَمَا يَكُونُ نَقْصًا، فَهُوَ نَقْصٌ فِي الْإِنْسَانِ -أَيِ: النَّوْمُ-؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ، فَالْإِنْسَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَلَّا يَنَامَ، لَابُدَّ أَنْ يَنَامَ، فَإِذَا كَانَ الْوَصْفُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ كَانَ نَقْصًا، وَلَكِنَّ النَّوْمَ يَكُونُ كَمَالًا أَيْضًا إِذَا كَانَ مِنْ صِحَّةٍ لَا مِنَ اعْتِلَالٍ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا لَا يَنَامُ لِكَوْنِهِ مَرِيضًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنَامَ، فَيَكُونُ النَّوْمُ كَمَالًا فِي حَقِّ الْإِنْسَانِ، كَمَا يَكُونُ نَقْصًا فِيهِ عَلَىٰ مَا هُوَ مَعْهُودٌ، وَأَمَّا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فَـ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كُلُّ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، هُوَ مِلْكٌ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فَمَهْمَا اتَّخَذَ النَّاسُ مِنْ مَعْبُودٍ سَمَاوِيٍّ؛ كَالْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَوَاتِ، أَوْ مَعْبُودٍ أَرْضِيٍّ، مِنْ وَلِيٍّ، أَوْ نَبِيٍّ، أَوْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، أَوْ بَقَرٍ، مَهْمَا اتَّخَذَ النَّاسُ مِنْ مَعْبُودٍ، فَكُلُّ هَذَا مَمْلُوكٌ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فَكَيْفَ يَكُونُ مَا هُوَ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- مُسْتَحِقًّا لِلْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ، أَوْ مِنْ دُونِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؟!

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ﴾: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، و﴿مَا﴾: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ يَعْنِي: مَا كَانَ فِيهِمَا، وَتَقْدِيمُ الْخَبَرِ عَلَىٰ الْمُبْتَدَأِ يُفِيدُ الْحَصْرَ؛ أَيْ: أَنَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: وَالشَّفَاعَةُ: طَلَبُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ، فَهِيَ التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ، وَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ وَلَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ

عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- إِلَا بِإِذْنِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ[1] أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- يَسْجُدُ عِنْدَ الْعَرْشِ، يَحْمَدُ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَحَامِدَ، قَالَ: «**لَا أَعْلَمُهَا الْآنَ يَفْتَحُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَلَيَّ بِهَا**»، ثُمَّ يُنَادَىٰ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَيُؤْذَنُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ، «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»، فَيَأْذَنُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِصَفِيِّهِ، وَنَجِيِّهِ، وَخَلِيلِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَكَلِيمِهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- بِالشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ، لَا يَشْفَعُ ابْتِدَاءً، لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ- فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُتَفَرِّدٌ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وفيهما من حديث أنس -رضي الله عنه-.

لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ بِمَعْنَىٰ: مَعْلُومِهِ، أَوْ مِنْ عِلْمِهِ الَّذِي يُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الْمُرَادُ بِهِ الْمُسْتَقْبَلُ وَالْحَاضِرُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: المُرَادُ بِهِ الْمَاضِي، وَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ عِلْمُ اللَّهِ مُتَعَلِّقًا بِالْمَاضِي فَلَا يَنْسَاهُ، وَمُتَعَلِّقًا بِالْمُسْتَقْبَلِ فَلَا يَجْهَلُهُ، وَهَكَذَا عِلْمُ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عِلْمٌ بِالسَّابِقِ وَعِلْمٌ بِاللَّاحِقِ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: وَالْكُرْسِيُّ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَأَمَّا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْض، فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَالْحَلْقَةِ فِي الْفَلَاةِ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلِ الْكُرْسِيِّ عَلَىٰ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض، فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ، الَّذِي هُوَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،

الَّذِي اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ رَبُّنَا الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ -جَلَّ وَعَلَا-.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: أَثْبَتَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِنَفْسِهِ الِاسْتِوَاءَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ هُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوقٍ مِنْ حَيْثُ الْعِظَمُ وَالْكِبَرُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلْقَةِ**»[(١)].

فَيَالَلَّهِ مَا أَعْظَمَ عَرْشَ اللَّهِ!

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؛ أَيْ: لَا يُثْقِلُهُ، وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ حِفْظُهُمَا.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾: عَلِيٌّ فِي ذَاتِهِ، عَلِيٌّ فِي صِفَاتِهِ،

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦١) من حديث أبي ذر -رضي الله عنه-، وصححه الألباني بشواهده في الصحيحة (١٠٩).

عَلَيٌّ فِي قَهْرِهِ، لَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الصِّفَاتِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ، وَالْقُلُوبُ مُتَعَلِّقَةٌ بِصِفَةِ الْعُلُوِّ لِلَّهِ، فَإِنَّهُ مَا سَجَدَ سَاجِدٌ يَدْعُو رَبَّهُ إِلَّا قَالَ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ مُمَرِّغٌ أَنْفَهُ فِي التُّرَابِ، سَاجِدًا لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ»، فَتَوَجَّهَ قُلْبُهُ إِلَىٰ جِهَةِ الْعُلُوِّ، النَّاسُ عِنْدَمَا يَدْعُونَ لَا تَتَوَجَّهُ قُلُوبُهُمْ إِلَىٰ جِهَةِ السُّفْلِ، وَإِنَّمَا تَتَوَجَّهُ قُلُوبُهُمْ إِلَىٰ جِهَةِ الْعُلُوِّ.

جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْإِقْرَارَ وَالْإِثْبَاتَ لِصِفَةِ الْعُلُوِّ، عُلُوِّ الذَّاتِ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ الْمَجِيدِ الْمُتَعَالِ، جَعَلَ الْإِقْرَارَ وَالْإِثْبَاتَ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الْعَظِيمَةِ، مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا- غَرِيزَةً مَغْرُوزَةً فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَإِنَّهُ مَا قَالَ قَائِلٌ يَوْمًا: «يَا رَبِّ»، إِلَّا وَجَدَ ضَرُورَةً فِي نَفْسِهِ، تَتَّجِهُ إِلَىٰ جِهَةِ الْعُلُوِّ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- صِفَةَ الْعُلُوِّ، عُلُوِّ الذَّاتِ، وَأَنَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَا شَيْءَ مِنْ خَلْقِهِ بِدَاخِلٍ فِيهِ،

وَلَا هُوَ سُبْحَانَهُ بِدَاخِلٍ فِي شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: لَهُ الْعَظَمَةُ كُلُّهَا، وَلَهُ الْمَجْدُ سُبْحَانَه، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، لِمَ كَانَتْ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ الْجَوَابُ: لِأَنَّهَا فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، فِي بَيَانِ الْإِثْبَاتِ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: فِيهَا إِثْبَاتُ صِفَاتِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَفِيهَا إِثْبَاتُ أَسْمَاءِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مُتَفَرِّدٌ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

فَهَذَا الْأَمْرُ الْكَبِيرُ وَهُوَ تَوْحِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هُوَ أَوَّلُ مَا تُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ، عِنْدَ الْبَدْءِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللَّهِ،

وَكُلُّ مُجْتَمَعٍ لَا يَأْخُذُ حَظَّهُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ رَبِّهِ، فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْمَبَاذِلِ وَالْمَفَاسِدِ مَا فِيهِ، عَلَىٰ قَدْرِ بُعْدِهُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بِهَذَا جَاءَ نَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَبِهِ بَدَأَ وَبِهِ أَمَرَ عِنْدَ الْبَدْءِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللَّهِ، «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»(١)، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ(٢): «**أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ**».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَه، هَذَا أَوَّلُ أَمْرٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالْعَجَبُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ، إِقْبَالًا عَلَيْهِ، وَتَحْقِيقًا لَه، وَإِقَامَةً لِأَرْكَانِهِ وَدَعْوَةً إِلَيْهِ، فَإِنَّمَا تَمَيَّزَ الْمُسْلِمُونَ، فِي جَمِيعِ الْعُصُورِ، وَفِي جَمِيعِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٤).

الْأَمَاكِنِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ؛ لِأَنَّهُ لَا دِينَ إِلَّا دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فَدِينُنَا هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَحْقِيقِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

أَسْأَلُ اللَّهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُه، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- أَنْ يُحَقِّقَنا بِالتَّوْحِيدِ، وَأَنْ يُحَقِّقَ فِينَا التَّوْحِيدَ، وَأَنْ يُحَقِّقَنا بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يُمِيتَنَا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ سَيِّدِ الْمُوَحِّدِينَ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

• • •

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مَتُلازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

• **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي آخِرِ مَا أَنْزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، فِي أَكْبَرِ مَحْفَلٍ وَمَشْهَدٍ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الْمَذْكُورُ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي أَكْمَلَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَلِهَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْه، وَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، لَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا، وَلَنْ يَكُونَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ دِينًا.

وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، دَعَا إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَبَيَّنَ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَضْلَهُ كَمَا بَيَّنَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ لِأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ.

وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[1]، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»؛ يَعْنِي: أُمَّةَ الدَّعْوَةِ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

فَلَا دِينَ إِلَّا دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، الدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الْإِسْلَامُ، وَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ يَسِيرٌ مُيَسَّرٌ، يَسَّرَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِيهِ مِنْ حَرَجٍ قَطُّ، وَهَذِهِ التَّرَاكُمَاتُ الَّتِي تَرَاكَمَتْ عَلَىٰ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَاتِ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ، يَنْبَغِي أَنْ تُزَالَ بِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَإِنَّمَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِيُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ.

كَانَ الْكُفَّارُ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ إِفْرَادِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْعِبَادَةِ، وَيَجْهَلُ هَذَا كَثِيرٌ مِنْ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُبْحَانَهُ سُلْطَانًا؛ لِأَنَّهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، إِنَّمَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِيُعْبَدَ وَحْدَه، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- الْأَمْرَ، وَوَضَّحَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَأَنَّ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَه، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ وَأَعْلَنَ بِهِ، وَلَمْ يَكْتُمْهُ حَاشَاه -صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-، وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ، مَمْلُوكٌ لِلَّهِ، مُدَبَّرٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فَهُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، شَرَّفَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَكَرَّمَه، وَأَعْلَىٰ ذِكْرَهُ وَرَفَعَ قَدْرَهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ- وَهُوَ خَلِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا ذَهَبَ -السَّرَعَانُ- يَقُولُونَ: حُرِّمَتْ، حُرِّمَتْ -يَعْنُونَ: الثُّومَ-،

فَسَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لِي؛ وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا**»[1]، فَأَرْجَعَ الْأَمْرَ إِلَىٰ أَصْلِهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ كَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ- فَقَالُوا: إِنَّمَا وَقَعَ هَذَا الْكُسُوفُ لِأَجْلِ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَخَرَجَ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- مُصَحِّحًا -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- هُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ -حَاشَاهُ- لَاسْتَغَلَّ هَذِهِ وَحَاشَا وَكَلَّا، كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، عِنْدَمَا

---

(١) أخرجه مسلم (٥٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي اللَّه عنه-.

تَقَعُ الْمُوَافَقَاتُ، بِقَدَرِ اللَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَسْتَغِلُّهَا مَنْ يَسْتَغِلُّهَا، وَلَوْ كَانَ مُدَّعِيًا أَنَّهُ عَلَىٰ الْجَادَّةِ بَادِيَ الرَّأْيِ، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّـهِ -صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فَهُوَ مُبَرَّأٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، فَخَرَجَ -مُصَحِّحًا- قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ -جَلَّ وَعَلَا- لَا تُكْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ**» أَمَرَ بِالْعِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ، -صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، «**فَافْزَعُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَالدُّعَاءِ، وَالذِّكْرِ، وَالصَّدَقَةِ**»[1]، فَأَمَرَ بِإِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَىٰ أَصْلِهِ.

---

(١) حديث الكسوف حديث متواتر، صحَّ عن جملة من أصحاب النبي -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم- منهم: عائشة، وابن عباس، وجابر، وأبو موسىٰ الأشعري -رضي الله عنهم جميعًا-، ومما يناسب المقام حديث أبي موسىٰ -رضي الله عنه- عند البخاري (١٠٥٩)، ومسلم (٩١٢)، وفيه: «**إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّـهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ**=

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْكَوْنِ وَحْدَه، وَهُوَ مُدَبِّرٌ أَمْرَهُ مِنْ عُلْوِيٍّ وَسُفْلِيٍّ، إِذْ هُوَ مَالِكُهُ وَهُوَ الرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؛ وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاه، وَلَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ غَيْرُه، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُصْرَفَ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

هَذِهِ دَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَهِيَ سِرُّ عِزِّهِمْ، وَمَنَاطُ رِفْعَتِهِمْ، فَإِذَا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ رَفَعَهُمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَقَدْ أَرْجَعَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- تَسَلُّطَ التَّتَارِ عَلَىٰ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لِمَا فَشَا فِيهَا مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْجُحُودِ لِصِفَاتِ الرَّبِّ -جَلَّ وَعَلَا- وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَمَا فَشَا بَيْنَ النَّاسِ مِنَ

---

= اللَّهَ يُرْسِلُهَا يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَافْزَعُوا إِلَىٰ ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ».

التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ.

الِانْحِرَافُ فِي الْمُعْتَقَدِ هُوَ سِرُّ تَسْلِيطِ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ، عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-؛ لِأَنَّهَا إِنْ فَرَّطت فِي هَذِهِ الْأَمَانَةِ الْعَظِيمَةِ، فَمَنْ يَحْمِلُهَا؟! إِذَا وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ تَقْصِيرٌ أَوْ قُصُورٌ، فَمَنْ يَجْبُرُهُ؟! إِذَا لَمْ تَقُمْ الْأُمَّةُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، فَمَنْ الَّذِي يَقُومُ بِهِ؟! وَإِذَا حَادَتْ عَنْهُ أَوْ قَصَّرْتَ فِيهِ، فَهَلْ يُلَامُ مَنْ كَانَ عَلَىٰ الْكُفْرِ قَائِمًا، أَوْ فِي الضَّلَالَةِ سَادِرًا، أَوْ فِي الْغَيِّ فَاجِرًا؟!

فَهَذِهِ الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ، الَّتِي هِيَ كَالْغَيْثِ، لَا يُدْرَىٰ أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ[1]، هَذِهِ الْأُمَّةُ مَنَاطُ عِزِّهَا فِي تَوْحِيدِ رَبِّهَا، وَالصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ثَلُّوا

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٦).

الْعُرُوشَ، وَطَوَّحُوا بِالتِّيجَانِ، وَمَلَكُوا الْأَرْضَ كُلَّهَا، بِفَضْلِ رَبِّهِمْ، وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ الْحُفَاةِ، الْعُرَاةِ إِلَّا مِمَّا يَسْتُرُ الْعَوْرَاتِ، وَلَا يَمْلِكُونَ الْعُدَّةَ الْكَافِيَةَ، وَلَا الْعَدَدَ الْوَافِرَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَكُونُونَ كَالْقَطْرَةِ فِي الْخِضَمِّ المائِجِ عَدَدًا وَعُدَّةً، وَلَكِنَّهُمْ كَالْجِبَالِ الشَّاهِقَاتِ تَحْقِيقًا لِتَوْحِيدِ رَبِّ الْكَائِنَاتِ، وَاتِّبَاعًا لِنَبِيِّ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

هَؤُلَاءِ الْأَصْحَابُ، إِذَا نَظَرْتَ فِي حَالِهِمْ، وَجَدْتَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانَ لَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ[1] مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَه، كَانُوا لَا يَجِدُونَ مِنَ الْقُوتِ، مَا يَكْسِرُ الْجَوْعَةَ، وَمِنَ الثِّيَابِ مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ إِلَا بِالْكَادِ الْكَادِ، وَمَا غَزْوَةُ الْخَبَطِ[2] مِنْكَ بِبَعِيدٍ؛ إِذْ كَانُوا يَخْبِطُونَ فُرُوعَ الْأَشْجَارِ بِالرِّمَاحِ، حَتَّىٰ تَتَسَاقَطَ الْأَوْرَاقُ، فَأَكَلُوا الْأَوْرَاقَ، حَتَّىٰ تَقَرَّحَتِ

---

(١) الدَّقَل: رديء التمر، أو: التمر الرديء.

(٢) غَزْوَةُ الْخَبَطِ أَمِيرُهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ.

الْأَشْدَاقُ، وَكَانُوا يَكُونُونَ كَمَا فِي غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ[١]، حُفَاةً لَا يَجِدُونَ مَا يَتَّقُونَ بِهِ حَرَّ الشَّمْسِ يَتَلَظَّىٰ عَلَىٰ الرِّمَالِ الْمُحْرِقَاتِ، الَّتِي لَوْ وُضِعَ عَلَيْهَا اللَّحْمُ النِّيءُ لَصَارَ نَضِيجًا، تَعْبُقُ فِي الْأَجْوَاءِ رَائِحَةُ شِوَائِهِ؛ بَلْ رَائِحَةُ احْتِرَاقِه، حَتَّىٰ انْتُقِبَتْ مِنْهُمُ الْأَقْدَامُ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ اللَّفَائِفَ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ، وَهُمْ ذَاهِبُونَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا تَنِي لَهُمْ عَزِيمَةٌ، وَلَا تَنْحَطُّ لَهُمْ هِمَّةٌ، وَإِنَّمَا هُمْ بِإِيمَانِهِمْ يَسْتَعْلُونَ عَلَىٰ وَاقِعِهِمْ.

وَهَلْ رَأَيْتَ قَطُّ جُنْدًا يَخْرُجُ مَقَاتِلًا، يَتَعَرَّضُ للاسْتِئْصَالِ وَالْفَنَاءِ، لِعَدَمِ التَّنَاسُبِ فِي الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ وَالْعَتَادِ؟! هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ جُنْدًا يَخْرُجُ مُجَاهِدًا، وَقُوتُهُ نَوَاةٌ، وَلَيْسَ لِكُلِّ جُنْدِيٍّ نَوَاةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ نَوَاةٌ تُتَدَاوَلُ، يَأْخُذُهَا هَذَا مِنْ جُنْدِ اللَّهِ، يَمُصُّهَا يَتَحَلَّبُ بِهَا رِيقُهُ، وَهُوَ

---

(١) وهي غزوة تَبُوكَ، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة.

فِعْلٌ مُنْعَكِسٌ شَرْطِيٌّ -كَمَا تَرَىٰ- أَوْ غَيْرُ شَرْطِيٍّ -إِنْ كُنْتَ لَا تَرَىٰ-، فَيَجْعَلُ النَّوَاةَ فِي فَمِهِ حَتَّىٰ يَتَحَلَّبَ رِيقُه، هَكَذَا يَخْرُجُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ؟! نَعَمْ، وَلَيْسَتْ لَهُ النَّوَاةُ، وَإِنَّمَا يُعْطِيهَا هَذَا لِهَذَا، يَأْخُذُ مِنْهَا بُغْيَتَه، وَلِيَقْضِيَ بِهَا وَطَرَه، فَإِذَا وَصَلَ إِلَىٰ ذَلِكَ بِقَدَرِ رَبِّهِ، أَعْطَاهَا لِأَخِيهِ، هَذَا جُنْدٌ يَخْرُجُ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ مُجَاهِدًا؟! نَعَمْ، وَعُدَّتُهُمْ وَعَتَادُهُمْ شَيْءٌ يَسِيرٌ، تُنْتَقَبُ أَقْدَامُهُمْ إِذْ لَا ظَهْرَ يَحْمِلُهُمْ، مَلَكُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا، كَيْفَ؟ بِدِينِ اللَّـهِ، وَدِينُ اللَّه مَا هُوَ؟ تَوْحِيدُ اللَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَاتِّبَاعُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

هَذَا دِينُ اللَّـهِ، الَّذِي أَعَزَّ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، فِي صَدْرِهَا الْمُبَارَكِ، ثُمَّ لَمَّا فَرَّطَ الْقَوْمُ بَعْدُ، صَارُوا إِلَىٰ مَا تَعْلَمُونَ، لِذَلِكَ لَمَّا تَسَلَّطَ الصَّلِيبِيُّونَ عَلَىٰ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِغَلَبَةِ أَمْثَالِ الْعُبَيْدِيِّينَ، الَّذِينَ يَنْعَتُونَ أَنْفُسَهُمْ -ظُلْمًا وَزُورًا وَكَذِبًا وَمَيْنًا- بِالْفَاطِمِيِّينَ، وَإِنَّمَا هُمْ أَبْنَاءُ

عُبَيْدٍ الْقَدَّاحِ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَهُوَ رَافِضِيٌّ جَلْدٌ، لَمَّا تَسَلَّطُوا عَلَىٰ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ، وَمَلَكُوا مِصْرَ وَمَا حَوْلَهَا، وَحَرَفُوا النَّاسَ عَنِ السُّنَّةِ، وَتَسَلَّطَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ الصَّلِيبِيُّونَ، لَمَّا جَاءَ فِي آخِرِ عَهْدِهِمْ، فَاسْتَوْزَرُوهُ -صَلَاحُ الدِّينِ-، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ أَشَّعريًّا -رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ- إِلَّا أَنَّهُ أَرْجَعَ الْأُمَّةَ إِلَىٰ السُّنَّةِ فِي الْإِطَارِ الْعَامِ، الَّذِي يُقَابِلُ الرَّفْضَ وَالتَّشَيُّعَ، وَبُغْضَ الصَّحَابَةِ، وَسَبَّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، لَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ السُّنَّةِ نَصَرَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّهُ لَا عِزَّةَ وَلَا نَصْرَ، إِلَا بِالْعَوْدَةِ إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَلَا رَفْعَ لِلْمَذَلَّةِ وَالذُّلِّ، وَلَا إِبْعَادَ لِلضَّيْمِ وَالْجَوْرِ، إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، «**سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّىٰ**

تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ»[1] فَاجْتَهِدُوا فِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

وَالتَّوْحِيدُ هُوَ الْفَرْضُ الْأَعْظَمُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعَبِيدِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَهُ مِنَ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمُتَنَوِّعَةِ مِثْلَ التَّوْحِيدِ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَفَضَائِلِهِ.

وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ وَتَكْفِيرُهَا مِنْ بَعْضِ فَضَائِلِهِ وَآثَارِهِ.

**وَمِنْ فَضَائِلِهِ:** أَنَّهُ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ لِتَفْرِيجِ كُرُبَاتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَدَفْعِ عُقُوبَتِهِمَا.

**وَمِنْ أَجَلِّ فَوَائِدِهِ:** أَنَّهُ يَمْنَعُ الْخُلُودَ فِي النَّار، إِذَا كَان فِي الْقَلْبِ مِنْهُ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، وَإِذَا كَمُلَ فِي الْقَلْبِ مَنَعَ مِنْ دُخُولِ النَّارِ بِالْكُلِّيَّةِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٤) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٣).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ الْهُدَىٰ الْكَامِلُ، وَالْأَمْنُ التَّامُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِنَيْلِ رِضَا اللَّهِ وَثَوَابِهِ، وَأَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ[1].

وَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ: أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مُتَوَقِّفَةٌ فِي قَبُولِهَا وَفِي كَمَالِهَا وَفِي تَرَتُّبِ الثَّوَابِ عَلَيْهَا عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، فَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ كَمُلَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَتَمَّتْ.

---

(١) أخرج البخاري (٩٩، ٦٧٥٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ؛ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ».

**وَمِنْ فَضَائِلِهِ:** أَنَّهُ يُسَهِّلُ عَلَىٰ الْعَبْدِ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، ويُسلِّيهِ عَنِ الْمُصِيبَاتِ، فَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ فِي إِيمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ تَخِفُّ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ؛ لِمَا يَرْجُو من ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ تَرْكُ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَاصِي؛ لِمَا يَخْشَىٰ مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا كَمُلَ فِي الْقَلْبِ حَبَّبَ اللَّهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَكَرَّهُ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَجَعَلَهُ مِنَ الرَّاشِدِينَ.

**وَمِنْهَا:** أَنَّهُ يُخَفِّفُ عَنِ الْعَبْدِ الْمَكَارِهَ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْآلَامَ؛ فَبِحَسَبِ تَكْمِيلِ الْعَبْدِ لِلتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ يَكُونُ تَلَقِّيهِ الْمَكَارِهَ وَالْآلَامَ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ، وَصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ، وَتَسْلِيمٍ وَرِضًا بِأَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤْلِمَةِ.

**وَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ:** أَنَّهُ يُحَرِّرُ الْعَبْدَ مِنْ رِقِّ الْمَخْلُوقِينَ وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ وَخَوْفِهِمْ وَرَجَائِهِمْ وَالْعَمَلِ

لِأَجْلِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْعِزُّ الْحَقِيقِيُّ وَالشَّرَفُ الْعَالِي، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُتَأَلِّهًا مُتَعَبِّدًا لِلَّهِ، لَا يَرْجُو سِوَاهُ، وَلَا يَخْشَىٰ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يُنِيبُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ فَلَاحُهُ، وَيَتَحَقَّقُ نَجَاحُهُ.

**وَمِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ الَّتِي لَا يَلْحَقُهُ فِيهَا شَيْءٌ:** أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا تَمَّ وَكَمُلَ فِي الْقَلْبِ، وَتَحَقَّقَ تَحَقُّقًا كَامِلًا بِالإِخْلَاصِ التَّامِّ؛ فَإِنَّهُ يُصَيِّرُ الْقَلِيلَ مِنْ عَمَلِهِ كَثِيرًا، وَتُضَاعَفُ أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ بِغَيْرِ حَصْرٍ وَلَا حِسَابٍ.

**وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ تَكَفَّلَ لِأَهْلِهِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعِزِّ وَالشَّرَفِ، وَحُصُولِ الْهِدَايَةِ، وَالتَّيْسِيرِ لِلْيُسْرَىٰ، وَإِصْلَاحِ الْأَحْوَالِ، وَالتَّسْدِيدِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ.

وَاعْلَمُوا -هَدَانِيَ اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ- **أَنَّ مِنْ أَظْهَرِ ثَمَرَاتِ التَّوْحِيدِ:** أَنْ تَكُونَ حَسَنَ الْخُلُقِ،

عَلَىٰ أَخْلاقِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، يُنَجِّيكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَلَا يُنَجِّي مِنَ النَّارِ إِلَّا الْمُوَحِّدِينَ، فَإِنَّهُ حَرَّمَهَا -جَلَّ وَعَلَا- عَلَىٰ الْمُوَحِّدِينَ الْخُلَّصِ، كَمَا حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ، وَالتِّرْمِذِيُّ[1]، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَىٰ النَّارِ، أَوْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ**»، كَذَا الرِّوَايَة، «**كُلُّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ**»، كُلُّ قَرِيبٍ لَا يُوغِلُ فِي عِنَادِهِ، وَلَا يَلَدُّ فِي ضَلَالِهِ.

وَالرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- الْأُسْوَةُ وَالْقُدْوَةُ، مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٣٨)، وابن حبان (٤٦٩)، والترمذي (٢٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٩).

لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، وَلَكِنْ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللَّهِ، لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ[1]، هَذَا مِنْ ثِمَارِ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا سَيِّدُ الْمُوَحِّدِينَ، -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

«**الَّذِي يُحَرِّمُهُ اللَّهُ عَلَىٰ النَّارِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِ النَّارَ، كُلُّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ**»، فَلَا تَكُنْ مُسْتَصْعَبًا، لِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَحَقِّقُوا تَوْحِيدَ رَبِّكُمْ، وَمِنْ أَجْلَىٰ ثَمَرَاتِهِ وَأَظْهَرَهَا -عِنْدَ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ الْحَقِّ- أَنْ تَكُونَ حَسَنَ الْخُلُقِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنَّ يُحَقِّقَنا بِالتَّوْحِيدِ، وَأَنْ يُحَقِّقَ فِينَا التَّوْحِيدَ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا بِفَضْلِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَمَنِّهِ، وَجُودِهِ، وَكَرَمِهِ، تَحْتَ لِوَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يَسْقِيَنَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، شَرْبَةً هَنِيئَةً لَا نَظْمَأُ مِنْ بَعْدِهَا أَبَدًا، وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْمَسْجِدُ الشَّرْقِيُّ بِسُبْكِ الْأَحَدِ

الْجُمُعَة ٤ من شَعْبَان ١٣٤١

١٦ من يُوليُو ٢٠١٠

# • الفهرس •

المُقَدِّمَةُ........................................ ٥
إِثْبَاتُ المَحَبَّةِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-........................ ٧
صِفَاتُ مَنْ أَحَبَّهُمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.............. ٨
شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبْدِ وآخِرُ
وَاجِبٍ عَلَيْهِ........................................ ١١
التَّوْحِيدُ أَوَّلُ مَا يُدْعَىٰ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا دَعَا إِلَيْهِ جَمِيعُ
الْمُرْسَلِينَ -عَلَيْهِمْ السَّلاَمُ-.......................... ١٣
مَعْنَىٰ (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)................................ ١٥
القُرْآنُ كُلُّهُ في تَوْحِيدِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-........... ١٨
أَقْسَامُ التَّوْحِيدِ ..................................... ٢٠
آيَةُ الكُرْسِيِّ أَعْظَمُ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-. ٢٥
سُورَةُ الإِخْلَاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ.................... ٢٦
مَعْرِفَةُ المُشْرِكِينَ لِحَقِيقَةِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ التَّوْحِيدِ ..... ٢٧
فَهْمُ المُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ لِمَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ..... ٣٠
بَيَانُ بَعْضِ المَعَانِي الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا آيَةُ الكُرْسِيِّ... ٣٢
تَمَامُ دِينِ الإِسْلَامِ وَكَمَالُهُ وَاسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ زِيَادَةٍ أَوْ
نَقْصٍ أَوْ تَبْدِيلٍ ..... ٤٤
عَدَمُ قَبُولِ أَيِّ دِينٍ عِنْدَ اللَّهِ -تبارك وتعالىٰ- بَعْدَ بَعْثَةِ
النَّبِيِّ -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم- غَيْرِ الإِسْلَامِ. ٤٥
نَصْرُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لِعِبَادِهِ المُوَحِّدِينَ ..... ٥٠
بَعْضُ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ وَثَمَرَاتِهِ..... ٥٦
الفهرس ..... ٦٣

• • •

# لماذا هي أعظم؟

## فضل آية الكرسي

تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله ورعاه